الاختيار الفقهي بالاستناد للقواعد اللغوية عند الأمين الشنقيطي

"قراءة في تفسير الشنقيطي المسمى: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"

د/ محمد فال محمد محمود السالك

أستاذ الفقه وأصوله

بجامعة العلوم الإسلامية بالعيون –موريتانيا–

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

فحين تتعدد الأقوال وتختلف الأدلة يكون النظر فيها واختيار أحدها يحتاج إلى استخدام قواعد الترجيح لاختيار أرجح الأقوال وأصحها هو المنهج الأصح وهذه هي الطريقة التي استخدمها الشنقيطي للترجيح بين الأقوال المختلفة فلم يكن الشنقيطي صاحب نقل من الكتب السابقة دون تمحيص،بل كان يعرض ما يقوله العلماء قبله على الميزان العلمي فإن وافق فيها ونعمت وإلا تركه وبين وجه ذلك،فهو ذو شخصية مستقلة في التفكير العلمي الذي ظهر في معالجتهللفظ من نواحيه الدلالية المختلفة،فلم يخضع لأقوال أئمة اللغة والتفسير إلا إذا كان مقتنعا بها علميا، حيث كان يخضع كلما يصل إليه من المعلومات لمعاييره الخاصة المستخلصة لديه من معرفته الموسوعية.

وقد اعتنى الشنقيطي بالاستشهاد بالشعر،فقد بلغ عدد الشعراء الذين استشهد بأشعارهم في إطار تحقيقاته الدلالية٩٧شاعرا[١٢٢٤]،وقد ذكرت عدة طرق استند إليها المؤلف في استخدامه الكثير للغة العرب منها الإطالة والتوسع وإيراد المادة اللغوية التي تخدم مقصوده بما في ذلك الإكثار من الشعر العربي؛ وكذلك الاستناد إلى المعنى المعجمي في تفسير المفردات اللغوية مع تحكيم القواعد النحوية والاستشهاد بكلام النحويين للترجيح متبعا في ذلك عدة طرق من قبيل كثرة الدوران في كلام العرب ومدلول اللغة ومدلول الكلمة وارتباط الشرط بالجزاء ودلالة تأنيث العدد على تذكير المعدود، وسأدرس الموضوع من خلال مبحثين أتحدث في الأول منهما عن ترجمة المؤلف ومفهوم الاختيار عنده في كتابه أضواء البيان في إيضاح القرءان بالقرءان على أن يكون المبحث الثاني عن القواعد اللغوية كأداة للاختيار الفقهي.

المبحث الأول:ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ومفهوم الاختيار عنده

وسأتناول في هذا المبحث نبذة مختصرة عن الشيخ ومفهوم الاختيار الفقهي عنده

المطلب الأول:ترجمة مختصرة للإمام محمد الأمين الشنقيطيرحمه الله

١ـ اسمه ونسبه:

هو الإمام العلامة المفسر محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن نوح بن محمد بن سيدي أحمد بن المختار الشنقيطي،واسمه الصحيح آب، وهو من قبيلة حمير العربية.

ولقبه: آبَّا، بمد الهمزة وتشديد الباء، من الإباء.

٢ـ ولادته ونشأته:

ولد رحمه الله عام (١٣٢٥هـ) ونشأ يتيمًا، فقد توفي والده وهو صغير، وترك له ثروة من الحيوان والمال.

٣ـ وفاته رحمه الله:

توفي في ضحى يوم الخميس (١٣٩٣/١٢/١٧هـ)، وصلى عليه سماحة الإمام عبد العزيز بن بازرحمه الله في الحرم المكي.

([١٢٢٤]) التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط من القرن الثاني عشر إلى الوقت الحاضر –بحث لنيل شهادة دكتوراه الدولة- إعداد محمد بن سيد محمد مولاي، إشراف الدكتور أحمد أبو زيد جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط السنة الجامعية ١٤٢٢ه ٢٠٠١م ص٣٣٥.

قال الشيخ حمود العقلا رحمه الله: درست على الشيخ الشنقيطي في الكليّة وفي البيت، أما في البيت فكانت لي دراسة يومية معه في الأصول والمنطق، وكانت في المنطق سلّم الأخضري وشرحه، وفي الأصول روضة الناظر، وأتممتها على الشيخ رحمه الله، وكانت دراستي لها دراسة جيدة، وكانت الدراسة لوحدي بعد المغرب، وكان علْم الشيخ الشنقيطي غزير جدًا، خاصة في الأصول، والمنطق، والتفسير، والتاريخ، واللغة والأدب، وكان منقطع النظير في هذه، ويجمع لها غيرها.(١٢٢٥)

المطلب الثاني: مفهوم الاختيار الفقهي

لم يكن مصطلح "الاختيار الفقهي" شائع الاستعمال في عهد الأئمة، وإنما ظهر بعدهم في كتب المتأخرين حين دعت الحاجة إليه مع كثرة التفريعات والاجتهادات في مختلف المسائل التي تفتقت عنها أفكار أولئك الجهابذة الأعلام، فكان إعمال حرصهم وورعهم وعبقريتهم الفذة في تلك المسائل نتاجا جليلا، وكماً صالحاً من الأقوال والوجوه والآراء المؤصلة، فرض تعدادها، ومخايل الصواب في أطيافها على كل مجتهد متتبع، وفقا لمعاييره واستدلاله "اختيار" أحدها واعتماده مذهبا في هذه المسألة أو تلك، وهكذا لم يكن المعنى الذي استخدم له يختلف كثيرا عنمعناه اللغوي العادي.

وحيث يغلب في "الترجيح" الجانب الموضوعي، ودراسة الحجج والبراهين النقلية والعقلية، فإن في "الاختيار" جانبا شخصيا لا يغفل المعايير المذكورة بقدر ما يميل إلى أحدها ويصطفيه، وهو ما يظهر جليا في تعبيرات المتقدمين، فقد استخدموا: "أحبّ إلي"، كنوع من الاختيار الفقهي، وهذا ما عبر عنه أبوسعيدخلف بنالبراذعيالقروي المالكي(ت٣٧٢هـ)، في نص من أقدم النصوص الفقهية الصَّرفة التي وقفت عليها استخدم عبارة "الاختيار"، حيث جاء في خاتمة كتابه تهذيب المدونة:

قال خلف بن أبي القاسم البراذعي القروي: (قد تضمن هذا الكتاب مسائل المدونة والمختلطة كلها، خلا كثيراً من تكرارها وآثارها، وأجريت فيه ذكر مالك (ت١٧٩هـ) وغيره من أصحابه، فيما لا غنى فيه عنه، مما هو في المدونة، وجعلت ما لم أذكر قائله من المسائل منسوباً إلى عبد الرحمن بن القاسم (ت١٩١هـ) وإن كانت كلها قول مالك، فمنها ما سمعه منه، أو بلغه عنه، أو قاسه على أصوله، إلا ما بيّن أنه خالفه فيه واختاره من أحد قوليه، فإني ذكرت ذلك حسبما هو في المدونة، وما كان في هذا الكتاب: "وهو أحب إليّ"، أو "وبه أقول"، فهو اختيار ابن القاسم(ت١٩١هـ)، والله تعالى أسأله التوفيق برحمته، وحسبنا الله ونعم الوكيل)(١٢٢٦).

(١٢٢٥)تنظر: ترجمة الشيخ في أضواء البيان ج٩ ص٤٧٩، بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم (وهي ملحقة في آخر الجزء التاسع)، نشر دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة ١٤١٥ه-١٩٩٥م، دون ذكر رقم الطبعة، وترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان، للسيد عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، دار الهجرة، الخبر، الطبعة الأولى: ١٤١٢ه. ، ص٩، وعلماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب، دار الشواف، الرياض، الطبعة الرابعة، ج١ ص١٧١.

(١٢٢٦) ينظر: التهذيب في اختصار المدونة، لخلف بن أبي القاسم محمد، الأزدي القيرواني، أبي سعيد ابن البراذعي المالكي، دراسة وتحقيق د. محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، ج٤ ص٢٦٦، نشر دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث- دبي، الطبعة الأولى: ١٤٢٣ه - ٢٠٠٢م.

وفي مسائل الإمام أحمد (ت٢٤١هـ) رواية ابنه أبي الفضل صالح (ت٢٦٦هـ)، قال: (قال أبي: أختار: ربنا ولك الحمد، ومن قال: لك: فلا بأس) (١٢٢٧).

ثم جاء سحنون بن سعيد التنوخي (ت٢٤٠هـ) في المدونة: قال سحنون(ت٢٤٠هـ): (وقال أشهب(ت٢٠٤هـ) مثل قوله، واختار مثل ما اختار هو) (١٢٢٨).

وعند الشافعية استخدمه الماوردي (ت٤٥٠هـ) في كتابه الحاوي، وهو كتاب كاسمه، قال: (وهذا اختيار ابن أبي هريرة، وهو خطأ) (١٢٢٩).

أما عند الأحناف فقد ظهر هذا المصطلح عند الإمام الكبير السرخسي (ت٤٨٣هـ) (وفي الكتاب: قال: أحب إلي أن يعيد الوضوء، وهو إشارة إلى أنه غير واجب، وهو اختيار محمد بن إبراهيم الميداني -رحمه الله تعالى-، وأكثر المشايخ على أنه يجب الوضوء لما بينا) (١٢٣٠).

وعلى الاستقراء والتتبع لا شك أن أول استعمال لهذا المصطلح كان عند اللغويين والنحاة، وعنهم تسلل شيئا فشيئا إلى كتب الفقهاء، مع علماء تلك الفترة الموسوعيين، والذين كان لهمسهم صائب في كل فن وعلم، فنجد الاختيار بهذا المفهوم شائعا في الكتابلعمرو بنعثمان، سيبويه، (ت١٨٠هـ)، قال: (وسألت الخليل عن القاضي في النداء فقال: أختار يا قاضي، لأنه ليس بمنون، كما أختار هذا القاضي) (١٢٣١).

وعند محمد بن يزيد، المبرد (ت٢٨٥هـ)، قال: (أعلم أنك إذا قلت: افتعل ومفتعل، وما تصرف منه، فإن الواو من هذا الباب تقلب فيه تاء، وذلك الاختيار والقول الصحيح) (١٢٣٢).

(١٢٢٧) مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابن أبي الفضل صالح، للعلامة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ج٢ ص٤٣٣، نشر: الدار العلمية – الهند.

(١٢٢٨) تنظر المدونة للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني ج٢ ص٢٩، نشر: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى:١٤١٥ه- ١٩٩٤م.

(١٢٢٩) ينظر الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني لأبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، بتحقيق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ج١ ص٢٠، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الأولى: ١٤١٩ ه - ١٩٩٩ م.

(١٢٣٠) ينظر المبسوط للعلامة محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي ج١ ص٧٧، نشر: دار المعرفة – بيروت تاريخ النشر١٤١٤ه-١٩٩٣م.

(١٢٣١) ينظر: الكتاب للعلامة الشهير عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، بتحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٤ ص١٨٤، نشر مكتبة الخانجي- القاهرة الطبعة الثالثة: ١٤٠٨ه - ١٩٨٨م.

(١٢٣٢) ينظر: المقتضب للعلامة محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبي العباس، (المبرد)، بتحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، ج١ ص٩١، نشر: عالم الكتب. – بيروت.

ونظرا لتعلق الاختيار بالترجيح، وكثرت وروده بمعناه عند الشيخ أسلط الضوء عليه ليتضح التصور العام للمعنى.

١- الترجيح في اللغة: الراء والجيم والحاء أصل واحد يدل على رزانة وزيادة، يقال: رجحت الشيء بيدي أي وزنته ونظرت ما ثِقْله، وأرجحت الميزان أي أثقلته حتى مال، ويقال: زن وأرجح وأعط راجحاً، وحِلْم راجح: يَرْزن بصاحبه فلا يُخِفُّه شيء(١٢٣٣).

٢- الترجيح في الاصطلاح: عرف الجرجاني الترجيح اصطلاحا فقال: (إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر)(١٢٣٤).

أما المراد به عند المفسرين -وهو ما يعنينا في هذا البحث الفقهي منه خاصة- فهو: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل، أو لتضعيف ما سواه من الأقوال.(١٢٣٥).

المبحث الثاني: القواعد اللغوية كأداة للاختيار الفقهي عند الشيخ.

سأتناول في هذا المبحث نماذج من القواعد اللغوية التي اعتمد عليها الشيخ للاختيار أو الترجيح .

المطلب الأول: الاستناد إلي كثرة الاستخدام اللغوي (كثرة الدوران في كلام العرب)

الآية: قال تعالى:(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)(١٢٣٦).

قال الشيخ رحمه الله:

(الثاني: أن قوله:مفرد أريد به الجمع، أي خلائف، وهو اختيار ابن كثير(ت٧٧٤ه). والمفرد إن كان اسم جنس يكثر في كلام العرب إطلاقه مرادًا به الجمع كقوله تعالى:(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ(١٢٣٧))؛ يعني أنهارا بدليل قوله:

(١٢٣٣) ينظر: تهذيب اللغة، للعلامة محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور، بتحقيق: محمد عوض مرعب، ج ٤ص١٤٢، مادة (رجح) نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى: ٢٠٠١م، ومعجم مقاييس اللغة للعلامة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، بتحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج١ ص٥١٢ مادة (رجح) نشر دار الفكر:١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، والقاموس المحيط للعلامة مجد الدين محمد يعقوب الفيروزآبادي، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ص٢٣٤، مادة رجح دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ه.

(١٢٣٤) ينظر: التعريفات للعلامة علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم اللعلامة أبي اري، ص٧٨، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥ه.

(١٢٣٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين علي الحربي، ج١ ص٣٥، دار القاسم، الطبعة الأولى: ١٤١٧ه.

(١٢٣٦) سورة البقرة الآية ٣٠.

(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ...)[١٢٣٨]وقوله:(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)[١٢٣٩].

وقوله:(وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا)[١٢٤٠]؛ ونظيره من كلام العرب قول عقيل بن عُلَّفَة المري١٢٤١:

وكـــــان بنـــــو فـــــزارة شـــــرعم ❁ وكنـــــت لهـــــم كشـــــر بنـــــي الأخينـــــا

وقول العباس بن مرداس السلمي[١٢٤٢]:

فقلنـــــا اســـــلموا إنـــــا أخـــــوكم ❁ وقـــــد ســـــلمت مـــــن الإحـــــن الصـــــدور

وأنشد له سيبويه قول علقمة بن عبدة[١٢٤٣] التميمي:

بهـــا جيـــف الحســـرى فأمـــا عظامهـــا ❁ فبـــيض وأمـــا جلـــدها فصـــليب

وقول الآخر:

(١٢٣٧) سورة القمر الآية ٥٤.

(١٢٣٨) سورة محمد الآية ١٥.

(١٢٣٩) الفرقان الآية ٧٤.

(١٢٤٠) سورة النساء، الآية ٤.

(١٢٤١) عقيل بن علفة المري - من الشعراء الفحول المقلين في العصر الأموي ، انظر: طبقات فحول الشعراء لمؤلفه: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق : محمود محمد شاكر، ج٢ ص ٧٠٩، دار المدني - جدة و(سيرته وشعره) - د. شريف راغب علاونة ، دار المناهج ، عمّان ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ١٤٨ صفحة.

(١٢٤٢) العَبَّاس بن مِرْداس(٠٠٠ - نحو ١٨ هـ = ٠٠٠ - نحو ٦٣٩ م)العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر، أبو الهيثم: شاعر فارس، من سادات قومه.امه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قبيل فتح مكة. وكان من المؤلفة قلوبهم، انظر: الأعلام للثقة: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) ج ٣ ص٢٦٧، الناشر: دار العلم للملايينالطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م

(١٢٤٣) عَلْقَمَة الفَحل(٠٠٠ - نحو ٢٠ ق هـ = ٠٠٠ - نحو ٦٠٣ م)علقمة بن عَبَدة (بفتح العين والباء) بن ناشرة بن قيس، من بني تميم: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. كان معاصرا لامرئ القيس، وله معه مساجلات. وأسر " الحارث ابن أبي شمر الغساني " أخا له اسمه " شأس " فشفع به علقمة ومدح الحارث بأبيات، فأطلقه. له " ديوان شعر - ط " شرحه الأعلم الشنتمري، انظر: الأعلام الزركلي ج٤ ص٢٤٧، (م.س).

كلـــوا فـــي بعـــض بطـــنكم تعفـــوا ❁ فـــإن زمـــانكم زمـــن خمـــيص)[١٢٤٤]

والذي يظهر لي من استقراء اللغة العربية التي نزل بها القرآن، هو أن من أساليبها أن المفرد إذا كان اسم جنس يكثر إطلاقه مرادا به الجمع مع تنكيره - كما في هذه الآية - وتعريفه بالألف واللام وبالإضافة ؛ فمن أمثلته في القرآن مع التنكير قوله تعالى:(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ)[١٢٤٥]؛ أي: وأنهار، بدليل قوله تعالى:(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ)[١٢٤٦]... وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)[١٢٤٧]؛أي: أئمة، وقوله تعالى:(فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا)[١٢٤٨]؛أي: أنفسا، وقوله تعالى:(مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ)[١٢٤٩]؛ أي: سامرين، وقوله تعالى:(لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ)[١٢٥٠]؛ أي: بينهم، وقوله تعالى:(وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)[١٢٥١]؛ أي: رفقاء، وقوله تعالى:(وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا)[١٢٥٢]؛ أي: جنبين أو أجنابا، وقوله تعالى: وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (١٢٥٣)؛ أي: مظاهرون، ومن أمثلة ذلك مع التنكير في كلام العرب قول عقيل بن علفة المري:

وكـــان بنـــو فـــزارة شـــر عـــم ❁ وكنـــت لهـــم كشـــر بنـــي الأخينـــا

يعني: شر أعمام.

وقول قعنب ابن أم صاحب:

(١٢٤٤) أضواء البيان ج١ ص٢٠(م.س)

(١٢٤٥) سورة القمر، الآية ٥٤.

(١٢٤٦) سورة محمد، صلى الله عليه وسلم الآية ١٥.

(١٢٤٧) سورة الفرقان، الآية ٧٤.

(١٢٤٨) سورة النساء، الآية ٠٤.

(١٢٤٩) سورة المؤمنون، الآية ٦٧.

(١٢٥٠) سورة البقرة الآية ١٣٦.

(١٢٥١) سورة النساء الآية ٦٩.

(١٢٥٢) سورة المائدة الآية ٠٦.

(١٢٥٣) سوة التحريم الآية ٠٤.

مـــا بـــال قـــوم صـــديق ثـــم لـــيس لهـــم ❁ ديـــن ولـــيس لهـــم عقـــل إذا ائتمنـــوا

يعني: ما بال قوم أصدقاء.

وقول جرير:

نصـــبن الهـــوى ثـــم ارتمـــين قلوبنـــا ❁ بـــأعين أعـــداء وهـــن صـــديق

يعني: صديقات.

وقول الآخر:

لعمـري لـئن كنـتم علـى النـأي والنـوى ❁ بكـم مثـل مـا بـي إنكـم لصـديق

وقول الآخر:

يـــا عـــاذلاتي لا تـــزدن ملامـــة ❁ إن العـــواذل لـــيس لـــي بـــأمير

أي: لسن بأمراء.

ومن أمثلته في القرآن واللفظ مضاف، قوله تعالى:أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ(١٢٥٤)؛ أي: أصدقائكم. وقوله: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ(١٢٥٥)؛أي: أوامره. وقوله:وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا(١٢٥٦)أي: نعم الله. وقوله:قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (١٢٥٧)؛ أي: أضيافي)[١٢٥٨].

بعد ذكر ما تقدم من الأدلة على اختياره اللغوي جاء بالحكم المستنبط فقال :

تنبيه:

(١٢٥٤) سورة النور، الآية ٦١.

(١٢٥٥) سورة النور، الآية ٦٣.

(١٢٥٦) سورة إبراهيم، عليه السلام الآية ٣٤.

(١٢٥٧) سورة الحجر، الآية ٦٨.

(١٢٥٨) أضواء البيان، ج٤ ص٢٧٢-٢٧٣،(م.س).

قال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة: هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة ؛ يسمع له ويطاع ؛ لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة[١٢٥٩] .

ومما تقدم يظهر أن إطلاق المفرد - إن كان اسم جنس- مرادا به الجمع كثر وروده في فصيح الكلام، ولا برهان على ذلك أوضح من وروده في القرآن العظيم الذي هو سلطان الكلام ألفاظا ومعانيا، فبان من البراهين القرآنية والشواهد اللسانية التي ساق المؤلف رحمه الله تعالى أعلاه وجوب اعتبار ذلك قاعدة لغوية، للمفسر الاستعانة بها في ترجيحاته التفسيرية.

(١٢٥٩)انظر الجامع لأحكام القرآن، للعلامة: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج١ ص ٢٦٤، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

المطلب الثاني:الاستناد إلى المعنى المعجمي للمفردات اللغوية (مدلول اللغة).
كما في قوله تعالى ::وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ)[١٢٦٠](

قال الشيخ رحمه الله:

(اختلف العلماء في المراد بالإحصار في هذه الآية الكريمة فقال قوم: هو صدّ العدو المحرم ومنعه إياه من الطواف بالبيت١٢٦١.وقال قوم: المراد به حبس المحرم بسبب مرض١٢٦٢ ونحوه١٢٦٣.وقال قوم: المراد به ما يشمل الجميع من عدو ومرض ونحو ذلك١٢٦٤.ولكن قوله تعالىٰ بعد هذا: (فَإِذَا أَمِنْتُمْ) يشير إلى أن المراد بالإحصار هنا صد العدو المحرم؛ لأن الأمن إذا أطلق في لغة العرب انصرف إلى الأمن من الخوف لا إلى الشفاء من المرض، ونحو ذلك، ويؤيّده أنه لم يذكر الشيء الذي منه الأمن، فدلّ على أن المراد به ما تقدم من الإحصار، فثبت أنه الخوف من العدوّ.

وحاصل تحرير هذه المسألة في مبحثين:

الأول: في معنى الإحصار في اللغة العربية.

الثاني: في تحقيق المراد به في الآية الكريمة وأقوال العلماء وأدلتها في ذلك، ونحن نبيّن ذلك كله إن شاء اللّه تعالىٰ.

اعلم أن أكثر علماء العربية يقولون: إن الإحصار هو ما كان عن مرض أو نحوه، قالوا: تقول العرب: أحصره المرض يُحصِره بضم الياء وكسر الصاد إحصارًا[١٢٦٥]، وأما ما كان من العدو فهو الحصر[١٢٦٦]،

(١٢٦٠) سورة البقرة، الآية ١٩٦.

(١٢٦١) انظر فتح القدير، لمؤلفه: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)ج١ ص ٢٢٥،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروتالطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ

(١٢٦٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للعلامة القرطبي، ج٢ ص ٣٧١ ، (م.س).

(١٢٦٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للعلامة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ص٢٤٠ ج١، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

(١٢٦٤) زاد المسير في علم التفسير، لمؤلفه : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، ج١ ص ١٥٧ ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ وكذلك: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، ج١ ص ١٦٧، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروتالطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

(١٢٦٥) انظر : القاموس المحيط، المؤلف: لمجد الدين الفيروزآبادى، مادة: حصر، ص ٣٧٦، (م.س).

(١٢٦٦) انظر: لسان العرب، لمؤلفه: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدي ابن منظور الأنصاري الرويفعىالإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) مادة: حصر، ج٤ ص ١٩٣، الناشر: دار صادر – بيروتالطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

تقول العرب حصر العدو يَحصُره بفتح الياء وضم الصاد حَصْرًا بفتح فسكون١٢٦٧، ومن إطلاق الحصر في القرءان على ما كان من العدو قوله تعالى﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ(١٢٦٨)،ومن إطلاق الإحصار على غير العدوّ كما ذكرنا عن علماء العربية.﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ (١٢٦٩)وقول ابن ميادة١٢٧٠:

ومـــا هجـــر ليلـــى أن تكـــون تباعـــدت ❁ عليـــــك ولا أن أحصـــــرتك شـــــغول

وعكس بعض علماء العربية. فقال: الإحصار من العدو، والحصر من المرض، قاله ابن فارس في «المجمل»[١٢٧١]، نقله عنه القرطبي (ت٦٧١هـ). ونقل البغوي(ت٥١٠هـ) نحوه عن ثعلب.وقال جماعة من علماء العربية: إن الإحصار يستعمل في الجميع، وكذلك الحصر، وممن قال باستعمال الإحصار في الجميع الفرّاء، وممن قال: بأن الحصر والإحصار يستعملان في الجميع أبو نصر القشيري.

تم خلص الشيخ الى اختياره:

قال مقيده عفا اللّه عنه : لا شك في جواز إطلاق الإحصار على ما كان من العدوّ...، هذا حاصل كلام أهل العربية في معنى الإحصار[١٢٧٢]، وبهذا تعلم أن إطلاق الإحصار بصيغة الرباعي على ما كان من عدو صحيح في اللغة العربية بلا شك كما ترى، وأنه نزل به القرءان العظيم الذي هو في أعلى درجات الفصاحة والإعجاز)[١٢٧٣].

(١٢٦٧) كتاب العين، لمؤلفه: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، باب الحاء والصاد والراء، ج٣ ص ١١٣، باب الحاء والصاد والراءالناشر: دار ومكتبة الهلال ،

(١٢٦٨) سورة التوبة الآية ٥.

(١٢٦٩) سورة البقرة الآية ٢٧٣

(١٢٧٠) ابن مَيَّادَة: (٠٠٠ - ١٤٩ هـ = ٠٠٠ - ٧٦٦ م)الرّمّاح بن أبرد بن ثوبان الذبيانيّ الغطفانيّالمضري، أبو شرحبيل، ويقال أبو حرملة: شاعر رقيق، هجاء، من مخضرمي الأموية والعباسية، قالوا: (كان متعرضا للشرّ طالبا لمهاجاة الناس ومسابّة الشعراء) . وفي العلماء من يرى أنه أشعر الغطفانيين في الجاهلية والإسلام، وأنه كان خيرا لقومه من النابغة. مدح من الأمويين الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان، ومن الهاشميين المنصور، وجعفر بن سليمان. وكان مقامه بنجد، يفد على الخلفاء والأمراء، اشتهر بنسبته إلى أمه ميادة وأخباره كثيرة. وقيل اسم أبيه يزيد، وجدّه ثريان، الاعلام للزركلي ج٣ ص ٣١ (م.س).

(١٢٧١) مجمل اللغة لابن فارس، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مادة:حصر ج١ ص ٢٣٨ دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروتالطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

(١٢٧٢) أضواء البيان، ج١ ص٧٥-٧٦(م.س)

(١٢٧٣)أضواء البيان، ج١ ص٧٧. (م.س)

يظهر جليا أن الشيخ رحمه الله يولي في منهجه الاستدلالي الأهمية القصوى للجانب المعجمي الدلالي، وتحقيق معاني الألفاظ التحقيق العلمي ليخلص إلى الرأي الراجح عنده بالأدلة التي يسوقها.

كقوله هنا: (وأنه نزل به القرءان العظيم الذي هو في أعلى درجات الفصاحة والإعجاز).

ومن هذا يمكن القول أن الحضور اللغوي على العموم والمعجمي على وجه الخصوص كان بارزا عند الشنقيطي رحمه الله مما يرفعه إلى مرتبة الأسس الاستدلالية كما لا يخفى. والعلم عند الله تعالى.

المطلب الثالث: الاستناد لقواعد النحو
أولا:ارتباط الشرط بالجزاء

هل على المحصر هدي إن كان لم يسقه قبلالإحصار؟

قال الشيخ رحمه الله:

قول تعالى:(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)[١٢٧٤]،تعليقه ما استيسر من الهدي على الإحصار تعليق الجزاء على شرطه، وهو دال على لزوم الهدي بالإحصار لمن أراد التحلل به، دلالة واضحة كما ترى)[١٢٧٥].

هذه المسألة كما عرضها الشيخ رحمه الله: هل على المحصر هدي إن كان لم يسقه قبلالإحصار؟، فالجمهور[١٢٧٦]وأشهب(ت٢٠٤ هـ)، من أصحاب مالك على أنه لا يجوز له التحلل بدون الهدي إن قدر عليه، والإمام مالك (ت١٧٩هـ) وابن القاسم (ت١٩١هـ)،رحمهما الله قالا: لا هدي على المحصر إن لم يكن ساقه معه قبل الإحصار[١٢٧٧]،وهما بذلك يخالفان ما ذهب إليه الجمهور وأشهب(ت٢٠٤هـ)، رحمه الله. فالشيخ رحمه الله كما ترى اختار رأي الجمهور ورجحه بما ذكر أعلاه من القاعدة النحوية التي هي تعليق الجزاء على شرطه، وهو الظاهر، قال الحطاب(ت٩٥٤هـ): (ظاهر كلامه أن التحلل إنما يحصل بنحر الهدي والحلق، وليس كذلك؛ لأن التحلل يحصل بالنية كما قال في الطراز والحلق من سنته كما سيأتي عند قول خليل صاحب المختصر : ولم يفسد بوطء بل قال في الطراز: لاخلاف أنه لو حلق، ولم يقصد به التحلل أنه لا يتحلل بذلك، وكذلك نحر الهدي،[١٢٧٨]

ثانيا:دلالة تأنيث العدد علي تذكير المعدود

الآية: قال تعالى:(وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ)[١٢٧٩].

(١٢٧٤) سورة البقرة، الآية ٩٦.

(١٢٧٥) أضواء البيان، ج١ ص٨٥، (م.س).

(١٢٧٦)ينظر: شرح مختصر خليل للعلامة الخرشي: محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله، ج٢ ص ٣٨٩، نشر: دارالفكرللطباعة، بيروت.

(١٢٧٧) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للحافظ أبي عمر بن عبد البر النمري القرطبي، بتحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، ، ج١٢ ص ١٥٤ نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧هـ.

(١٢٧٨) ينظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للعلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، نشر: ج ٣ ص ١٩٨، دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(١٢٧٩) سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

(وفي القاموس: وعدة المرأة أيام أقرائها، وأيام إحدادها على الزوج[١٢٨٠]، وهو تصريح منه بأن العدة هي نفس القروء لا شيء زائد عليها، وفي اللسان: وعدة المرأة أيام أقرائها، وعدتها أيضًا أيام إحدادها على بعلها، وإمساكها عن الزينة شهورًا كان أو أقراء أو وضع حمل حملته من زوجها.

فهذا بيان بالغ من الصحة والوضوح والصراحة في محل النزاع، ما لا حاجة معه إلى كلام آخر. وتؤيده قرينة زيادة التاء في قوله:(ثَلَاثَة قُرُوءٍ)لدلالتها على تذكير المعدود وهو الأطهار[١٢٨١]؛ لأنها مذكرة والحيضات مؤنثة[١٢٨٢]....

وانطلاقا مما تقدم رجح الشيخ -رحمه الله- القول القائل بأن القرء هو الطهر، رادا أدلة القول الآخر حيث قال: (فهذا بيان بالغ من الصحة والوضوح والصراحة في محل النزاع، لا حاجة معه إلى كلام آخر. وتؤيده قرينة زيادة التاء في قوله: :(ثَلَاثَة قُرُوءٍ) ،لدلالتها على تذكير المعدود وهو الأطهارلأنها مذكرة والحيضات مؤنثة) [١٢٨٣].

وما اختار الشيخ رحمه الله من كون القرء للطهر وجيه -والله أعلم- فالاستدلال اللغوي النحوي الذي أورد -وهو زيادة التاء في المعدود المذكر وحذفها في المعدود المؤنث- معلوم مقرر لدى أهل هذا الفن وهو من جملة القواعد المطردة، قال ابن عقيل رحمه الله لدى شرحه لقول ابن مالك رحمه الله:

ثلاثـــــة بالتـــــاء قـــــل للعشـــــره ❁ فـــــي عـــــد مـــــا آحـــــاده مـــــذكره

فـــــي الضـــــد جـــــرد والمميـــــز اجـــــرر ❁ جمعـــــا بلفـــــظ قلـــــة فـــــي الأكثـــــر

قال ما نصه:

(تثبت التاء في ثلاثة وأربعة وما بعدهما إلى عشرة إن كان المعدود بهما مذكرا وتسقط إن كان مؤنثا ويضاف إلى جمع نحو عندي ثلاثة رجال وأربع نساء وهكذا إلى عشرة)[١٢٨٤].

ولا فرق في ذلك بين المفرد والجمع إنما المعتبر فقط التذكير والتأنيث، وفي هذه المسألة قال خالد بن عبد الله الجرجاويّ الأزهري، صاحب كتاب التصريح بمضمون التوضيح :

(١٢٨٠) ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص٢٩٧، (م.س).

(١٢٨١) قال ابن مالك في الخلاصة:ثلاثة بالتاء قل لعشرة ***في عد ما آحاده مذكره/شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، للعلامة عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ابن عقيل)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج٤ ص٦٧، نشر دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاؤه، الطبعة العشرون ١٤٠٠ ه - ١٩٨٠ م.

(١٢٨٢)أضواء البيان، ج١ ص١٥٣ (م.س)

(١٢٨٣)أضواء البيان، ج١ ص١٥٣ (م.س)

(١٢٨٤) شرح ابن عقيل، على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج٤ ص٦٧. (م.س).

(و"التذكير والتأنيث "يعتبران مع الجمع بحال مفرده" فإن كان مفرده مذكرًا أنث عدده، وإن كان مؤنثًا ذكر، "فلذلك تقول: إصطبلات" جمع إصطبل، بقطع الهمزة المكسورة. "وثلاثة حمامات" جمع حمام؛ بتشديد الميم؛ "بالتاء فيهما" اعتبارًا بالإصطبل والحمام فإنهما مذكران، ولاتقول: ثلاث، بتركها؛ "اعتبارًا بالجمع، خلافًا للبغداديين" والكسائي. ونقل سيبويه والفراء أن كلام العرب على خلاف ذلك)[١٢٨٥].

ثالثا: العطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض

كما في قوله تعالى:(وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ)[١٢٨٦].

قال الشيخ رحمه الله:

(قال بعض العلماء: إن قوله تعالى :(وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ)في محل جر معطوفاً على الضمير، وعليه فتقرير المعنى: قل الله يفتيكم فيهن ويفتيكم فيما يتلى عليكم، وهذا الوجه يضعفه أمران:

الأول: أن الغالب أن الله يفتي بما يتلى في هذا الكتاب، ولا يفتي فيه لظهور أمره.

الثاني: أن العطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض ضعفه غير واحد من علماء العربية)[١٢٨٧].

يلاحظ أن هذا النموذج مختلف عن سابقيه، فالنماذج السابقة تجيء لإثبات قاعدة معينة أو تقويتها تمهيدا للترجيح استنادا إليها، وهنا تم عرضها لتضعيفها وجعل ذلك الضعف مرجحا للضد كما هو الحال هنا.

هذا وقد عاد الشيخ فذكر القائلين بها كالعلامة ابن مالك **(ت: ٦٧٢هـ)**وابن القيم(ت٧٥١هـ) والقرطبي (ت٦٧١هـ) رحمهم الله وجاء بنماذج فقال:

(وأجازه ابن مالك مستدلا بقراءة حمزة:(وَالْأَرْحَامِ)[١٢٨٨]بالخفض عطفا على الضمير من قوله:(وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)، وبوروده في الشعر كقوله:

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا ❁ فاذهب فما بك والأيام من عجب

بجر الأيام عطفا على الكاف ونظيره قول الآخر:

(١٢٨٥) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو للعلامة خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، (الوقاد) ج٢ ص٤٥٢، نشر دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(١٢٨٦) سورة النساء، الآية ١٢٧.

(١٢٨٧) أضواء البيان ج١ ص٣١٤ (م.س).

(١٢٨٨) سورة النساء الآية ٠١.

نعلـــق فـــي مثـــل الســـواري ســـيوفنا ❁ ومـــا بينهـــا والكعـــب مهـــوى نفـــانف
\=٠

بجر الكعب معطوفا على الضمير قبله وقول الآخر:

وقـــد رام آفـــاق الســـماء فلـــم يجـــد ❁ لـــه مصـــعدا فيهـــا ولا الأرض مقعـــدا

فقوله: ولا الأرض بالجر معطوفا على الضمير وقول الآخر:

أمـــر علـــى الكتيبـــة لســـتأدري ❁ أحتفـــي كـــان فيهـــا أم ســـواها

فسواها في محل جر بالعطف على الضمير.

وأجيب عن الآية بجواز كونها قسما، والله تعالى له أن يقسم بما شاء من خلقه، كما أقسم بمخلوقاته كلها في قوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ)[١٢٨٩]،وعن الأبيات بأنها شذوذ يحفظ ولا يقاس عليه، وصحح ابن القيم(ت٧٥١هـ) جواز العطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض، وجعل منه قوله تعالى: حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فقال إن قوله: "وَمَنْ"في محل جر عطفا على الضمير المجرور في قوله: حسبك، وتقرير المعنى عليه: حسبك الله،أي: كافيك، وكافي من اتبعك من المؤمنين، وأجاز ابن القيم (ت٧٥١هـ)والقرطبي (ت٦٧١هـ)في قوله:"وَمَنِ اتَّبَعَكَ"أن يكون منصوبا معطوفا على المحل؛ لأن الكاف مخفوض في محل نصب ونظيره قول الشاعر:

إذا كانـــت الهيجـــاء وانشـــقت العصـــا ❁ فحســـبك والضـــحاك ســـيف مهنـــد

بنصب الضحاك كما ذكرنا، وجعل بعضالعلماء منه قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ)[١٢٩٠]،فقال: ومن عطف على ضمير الخطاب في قوله: لكم وتقرير المعنى عليه، وجعلنا لكم ولمن لستم له برازقين فيها معايش، وكذلك إعراب وَمَا يُتْلَى بأنه مبتدأ خبره محذوف أو خبرهفِي الْكِتَابِ ، وإعرابه منصوبا على أنه مفعول لفعل محذوف تقديره، ويبين لكم ما يتلى، وإعرابه مجرورا على أنه قسم، كل ذلك غير ظاهر)(١٢٩١).

ومسألة العطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض، محل خلاف كما تقدم بينالنحاة، قال شمس الدين الجوجري (ت٨٨٩هـ) شارح شذور الذهب للعلامة ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) رحمهما الله تعالى:

(ومنها أن العطف على الضمير المخفوض لابد فيه من إعادة الخافض، نحو (زيد مررت به وبعمرو) و (أنا صاحبك وصاحب عمرو).

(١٢٨٩) سورة الحاقة، الآية ٣٨.

(١٢٩٠) سورة الحجر، الآية ٢٠.

(١٢٩١) أضواء البيان، ج١ ص٣١٤-٣١٥.

وقد يقال: إن قوله: (غالبا) قيد في هذه المسألة أيضا، فيجوز العطف عليه من غير إعادة الجارّ.

وهو، على هذا موافق ليونس والأخفش والكوفيين واختيار الشلوبين وابن مالك.

ومذهب جمهور البصريين أن إعادة الجار لازمة إلا في الضرورة.

واستدل الأولون بقوله تعالى: وَالْأَرْحَامِ[١٢٩٢]بالخفض في قراءة حمزة عطفا على الضمير المجرور في (به). وبقول الشاعر:

فاليومَ قد جئتَ تُؤذينَا وتَشتُمُنا ❁ فَاذْهبْ فمَا بكَ والأيَّامِ من عَجبِ

عطفا على الضمير المجرور في (بك).

وقول العرب، فيما حكاه قطرب: (ما فيها غيرُه وفَرَسِه) [١٢٩٣].

وعلى هذا تخرج مسألة والأرحام في قوله تعالى:

"وَالْأَرْحَامَ" قراءة العامة: النصب أي واتقوا الأرحام إن تقطعوها.

وقرأ النخعي ويحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف وقتادة والأعمش وحمزة: بالخفض على معنى وبالأرحام، كما يقال: سألتك بالله والرحمن، ونشدتك بالله والرحمن، والقراءة الأولى أصح وأفصح، لأن العرب لا يكلأ بنسق بظاهر على المعنى، إلّا أن يعيدوا الخافض[١٢٩٤]

الخاتمة

ما قدمته في البحث يشكل مفهوم الاختيار الفقهي عند الإمام الشنقيطي، وأدوات الاختيار الفقهي من خلال اللغة، وقد صدرته بترجمة مختصرة له، ثم أردفت ذلك بالحديث عن مفهوم الاختيار الفقهي، وبعد ذلك تحدثت عن أدوات الاختيار الفقهي اللغوية، فتعرضت للاستناد إلى كثرة الدوران في كلام العرب، ثم الاستناد إلى المعنى المعجمي للمفردات اللغوية أي مدلول اللغة، والاستناد لقواعد النحو، وقد تفتق البحث عن جملة من الاستنتاجات والملاحظات أجملها في الآتي:

([١٢٩٢]) سورة النساء، الآية ٠١.

([١٢٩٣]) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي، تحقيق نواف بن جزاء الحارثي، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق) الطبعة الأولى: ١٤٢٣ه/٢٠٠٤م.

([١٢٩٤]) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للعلامة: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ج٣ ص٢٤١، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنانالطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

منهج الشيخ في الاختيار منهج صارم، يحكم فيه القواعد اللغوية، ولا تجده ينحاز لمذهب معين، أو تصرفه أي نوازع غير علمية، فهو يدور مع الدليل حيث دار، دون أن يلتزم بترجيح مذهب من المذاهب الأربعة، كما يبدي ملاحظة الاختيار بعبارة واضحة ودقيقة.

استخدم الشيخ في ترجيحه للأقوال الفقهية عدة أدوات لغوية منها المدلول المعجمي والقواعد النحوية وغير ذلك.

وقد ساعد الشيخ في اختياره الفقهي عمقه الفقهي وتمكنه من علوم اللغة، إضافة إلى تبصره في علوم أخرى ذا صلة.

يظهر البحث القيمة الكبيرة للغة في علم التفسير، وخاصة جانب التفسير الفقهي، مما أدى إلى اهتمام المفسرين به، ويعتبر تفسير الشنقيطي المظهر الأبرز لذلك.

وحسبي في هذا البحث أني حاولت أنأكرس الجهد المستطاع من أجل دراسة دور اللغة في الاختيار الفقهي في تفسير الشنقيطي.

والله المستعان.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم الكريم برواية حفص عن عاصم.
٢. أضواء البيان، بقلم تلميذ الشيخ عطية محمد سالم (وهي ملحقة في آخر الجزء التاسع)، نشر دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة ١٤١٥ه-١٩٩٥م، دون ذكر رقم الطبعة.
٣. الأعلام للثقة: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٤. ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان، لعبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، دار الهجرة، الخبر، الطبعة الأولى: ١٤١٢ه
٥. التعريفات للعلامة علي بن محمد بن علي الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣ه - ١٩٨٣م.
٦. التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط من القرن الثاني عشر إلى الوقت الحاضر –بحث لنيل شهادة دكتوراه الدولة- إعداد محمد بن سيد محمد مولاي، إشراف الدكتور أحمد أبو زيد جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط السنة الجامعية ١٤٢٢ه-٢٠٠١م.
٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للحافظ أبي عمر بن عبد البر النمري القرطبي، بتحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧هـ.
٨. تهذيب اللغة، للعلامة محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور، بتحقيق: محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.
٩. التهذيب في اختصار المدونة، لخلف بن أبي القاسم محمد، الأزدي القيرواني، أبي سعيد ابن البراذعي المالكي، دراسة وتحقيق د. محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، نشر دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث- دبي، الطبعة الأولى: ١٤٢٣ه - ٢٠٠٢م.
١٠. الجامع لأحكام القرآن، للعلامة: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م
١١. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني لأبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، بتحقيق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م.
١٢. زاد المسير في علم التفسير، للعلامة جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ.
١٣. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك للعلامة ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة. ، سعيد جودة السحار وشركاؤه، الطبعة العشرون ١٤٠٠ ه - ١٩٨٠ م.
١٤. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو للعلامة خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م.
١٥. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، للعلامة شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي، تحقيق نواف بن جزاء الحارثي، نشر عمادة البحث

العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق) الطبعة الأولى: ١٤٢٣ه-٢٠٠٤م.
١٦. شرح مختصر خليل للخرشي محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله، نشر دار الفكر للطباعة - بيروت. الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م
١٧. طبقات فحول الشعراءللعلامة: محمد بن سلّام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢هـ)المحقق: محمود محمد شاكر،الناشر: دار المدني - جدة
١٨. عقيل بن علفة المري (سيرته وشعره) - د. شريف راغب علاونة ، دار المناهج ، عمّان ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ١٤٨ صفحة
١٩. العين للعلامة اللغوي أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، نشر: دار ومكتبة الهلال.
٢٠. فتح القدير للعلامة محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ.
٢١. القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين محمد يعقوب الفيروزآبادي، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ه،
٢٢. قواعد الترجيح عند المفسرين للسيد حسين علي الحربي، دار القاسم، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.
٢٣. الكتاب للعلامة اللغوي عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، بتحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي- القاهرة الطبعة الثالثة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
٢٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للعلامة: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧ هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ج٣ ص٢٤١، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان
٢٦. لسان العرب للعلامة محمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعىالإفريقى، نشر: دار صادر – بيروت الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ.
٢٧. المبسوط للعلامة محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، نشر: دار المعرفة – بيروت تاريخ النشر ١٤١٤ه-١٩٩٣م.
٢٨. مجمل اللغة لابن فارس، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
٢٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، نشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٣٠. المدونة للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، نشر: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى:١٤١٥ه- ١٩٩٤م.
٣١. مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابن أبي الفضل صالح، للعلامة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، نشر الدار العلمية – الهند.
٣٢. معجم مقاييس اللغة للعلامة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، بتحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر دار الفكر:١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٣. المقتضب للعلامة محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبي العباس، (المبرد)، بتحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، نشر: عالم الكتب. – بيروت.
٣٤. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للعلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، نشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.